حملة «طريق سوريا إلى العدالة»

في حزيران/ يونيو 2020، وبالتزامن مع اليوم الدولي للقضاء على العنف الجنسي في حالات النزاع، أطلقت المنظمات النسوية السورية «بدائل» و«دولتي» و«النساء الآن من أجل التنمية» و«شبكة الصحفيات السوريات»، بالإضافة إلى «حملة من أجل سوريا»، حملة «**طريق سوريا إلى العدالة**».

تدعو هذه الحملة إلى زيادة فرص الوصول القانوني إلى العدالة للناجيات والناجين من العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي الذي ارتكب خلال السنوات العشرة الماضية في سوريا في مراكز الاعتقال، وخاصة للناجيات اللواتي يواجهن عوائق تحول دون وصولهن إلى العدالة.

معارك الناجيات/ين من أجل العدالة تتخطى قاعة المحكمة لتدخل كل بيت وشارع في سوريا، وإن لم تحصل كل ناجية وناجٍ على الرعاية والاحترام والدعم الذي يحتاجونه/ تحتجنه ستبقى العدالة قاصرة أمام الجرائم الدولية التي تمر دون حساب.

تعمل الحملة على إنتاج محتوى يساهم في تعزيز وصول الناجين/ الناجيات من العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي إلى العدالة، ورواية تجاربهن/م وقصصهن والتحديات التي تواجههن/هم.

ولذلك عملت شبكة الصحفيات السوريات على إنتاج هذه السلسلة من المدونات المكتوبة من ناجيات من العنف القائم على النوع الاجتماعي (خلال الاعتقال)، و/أو الخبيرات في هذا المجال وغيرهن من المهتمات بمسارات العدالة والمساءلة في سوريا.

Syrian Road To Justice طريق سوريا إلى العدالة

شبكة الصحفيات السوريات
Syrian Female Journalists Network

حوى

(اسم حركي لإحدى الناجيات من الاعتقال)

من زوايا غرف الذاكرة

أسوأ شيء قد يعيشه الإنسان أن يفقد حريته ليعيش بين ظلمات الغرف المغلقة وعتمة السجن وظلمة السجان وقسوة الجوع وألم التعذيب وأن يسطر أيامه على جدران المعتقل.

بدأت رحلة عذابي باعتقال زوجي عام 2011 في بداية انتفاضة اللاذقية وتم الحكم عليه ب 20 عاماً لصالح المحكمة الميدانية .
وقعت عليّ في هذه الفترة مسؤولية أطفالي بالكامل، والتي كانت مكلّلة بالخطر في ظل القصف الممنهج الذي تتعرض له محافظتي.
بعد يوم عنيف من قصف النظام السوري تم اعتقالي مساءً أنا ووالدي من منزلنا، وتم جرنا «كالأغنام»، فتم أخذي أمام أعين أطفالي وأمي التي حاولت أن تضحي بنفسها لتحل مكاني، وبدأت تطلب منهم أخذها عوضاً عني، وأن يتركوني عند أطفالي.

تم استياقي في عتمة حالكة نظراً لعدم وجود كهرباء في المنطقة وأطفالي ينادونني من الشرفة، انتابني الخوف إلى أين سأذهب؟ أو ماذا سيفعلون بي؟ خاصة أني لم أستطع التحقق من هوية الأشخاص الذين أتوا لاعتقالنا، فلم نكن نعلم إن كانوا عناصر من أفرع الأمن، أم من الشبيحة الذين اعتمدوا الزي العسكري كرداء يرهبون به الناس بغرض السرقة والنهب.

اقتادوني إلى فرع المخابرات الجوية، لتبدأ هناك رحلة العذاب من تحقيق وتعذيب، ولم أسلم من أي نوع من أنواع وأدوات التعذيب سواء كانت (شبح/فلقة/دولاب/الكهرباء/انتزاع الحجاب/ والإهانة)، في محاولة ممنهجة من قبلهم لانتزاع الأقوال مني، أو تعمّد إهانتي بسبب موقفي ومطالبتي بإسقاط النظام.

ربما كانت أكثر فكرة تراود المعتقل/ة بعد انتهاء رحلة التعذيب، هي حال الأحباء، فكيف حال أهلي وأطفالي من دوني؟ وكان ألم أمي أشدّ عليّ من ألم التعذيب، كوني أعرف وضعها عند اعتقال أخي، وعما أتاها من أخبار إن كنت قد استشهدت أو تعرضت للتعذيب. كان يأكلني الصراع في بعض الأحيان عندما يقولون لي أنهم اعتقلوا والدتي وأطفالي وذلك لإجباري على الاعتراف. وبالرغم من كل التعذيب لم أنطق بكلمة أو أدلي بأي اعتراف، حتى لفترات بتّ أنسى أن والدي معي في الفرع أيضاً، حيث كانوا يخبرونني أنه مات، إلا أنني وبعد 3 أيام تلقيت خبراً منه عن طريق (السخرة) أحد المعتقلين الذي يقوم بتوزيع الطعام وطمأنني عن أبي.

طوال فترة اعتقالي فكّرت ملياً كيف سيواجهني المجتمع؟ كيف سأعود لأنتمي لمجتمع يسيطر عليه النظام؟ فلمجرد الاعتقال ستكونين بنظره إرهابية خائنة لبلدها، فتبعاً للتقييمات الأخلاقية المتوافق عليها في المجتمع تجاه المعتقلين/ات والمسجونين/ات سابقاً يبقى الاعتقال السياسي هو الأكثر وصماً وعاراً بالنسبة للنساء.

انتقلت من فرع الجوية في حلب إلى فرع جوية دمشق، والذي كان بمثابة سجن مصغر فيه سجانات أشرفن على تفتيشنا، حيث أدخلنني إلى غرفة مليئة بالحشرات والصراصير، وهو أمر لا أحتمله، فكنت أقول لهن أريد العودة لحلب، عذبوني اضربوني ولكن أريد الخروج من هذه الغرفة، وبعدها انتقلنا إلى سجن عدرا، فاكتشفت عند رؤية نفسي في المرآة لأول مرة أن شعري قد ابيضّ وبدأ بالمشيب لما رأته عيناي.

بعد خروجي قابلني أهلي بصدر رحب وفخر واعتزاز، حتى أمي قالت لي يكفيني فخراً أنك ابنتي، كذلك أصدقائي وزملائي في عملي كانوا لي عوناً داخل السجن وخارجه.

في الكفّة المقابلة كنت عنصراً شاذاً لا أستحق حتى السلام أو أن اعتبر صديقة أو قريبة لأحدهم/ن فمنهم/ن لم يسلّموا/ن عليّ، بل تم حظر اتصالاتي من أرقامهم/ن أو عدم الرد علي، كنت أحياناً أعذرهم/ن فبعضهم/ن يتصرف هكذا من الخوف، لكني أقول في قلبي، ما ذنبي أن النظام وحشي؟؟

ولا يخلو الأمر من وجود فئة تنكر اتباع النظام لهذه الأساليب الوحشية، بحجة أنه لا يقترف مثل هذه الأمور الشنيعة التي تحدثت عنها وعن طريقة تعذيبي، رغم أني خرجت أمشي بطريقة واضحة للعيان أني تلقيت ضرباً على أقدامي. ومنهم/ن من يقول أن الوطن كالأم فهي تهذب أطفالها عندما يشاكسون!!

علاوةً على كل ما سبق، يأتي السؤال الأهم بنظر البعض في هذا المجتمع، والذي يشغل تفكيرهم/ن المريض: «هل اغتصبوكِ؟»، وهو سؤال لم يطرحه زوجي أو أمي. وكأن الأمر وإن حصل كنت لأخجل به، حتى بقي هذا الأمر إلى الآن معلقاً في أذهان البعض بأن «زوجها ستر عليها وأبقاها على ذمته لأنه ما زال معتقلاً». لا يخجلون من طرح سؤال كهذا، بل إن ذلك (الاغتصاب) هو ما يهمهم/ن بالفعل وليس ما تعرضت له من سلبٍ للكرامة والحرية، من بحثٍ عن لقيماتٍ من الطعام، من أبسط الأشياء التي سلبت مني كشرب الماء ودخول الحمام.

كان شعوري بأني عنصر غير مرغوبٍ به في مناطق النظام، إلى جانب خوفي الدائم من اعتقالي مرةً أخرى، وخوف أطفالي عليّ من الاعتقال، خاصة بعدما قام أحد حواجز النظام بأخذ هويتي للتفتيش، وإن مررنا حينها بسلام، لكن ابني شحب لونه، وطلب مني الاستعجال بالذهاب للمنزل، وقال لي: «ماما خفت ياخذوكي». لذلك قررت عدم البقاء في سوريا، فقد تأذى أطفالي بمقدار أذيتي، وهذا كان سبباً ودافعاً كافياً للهجرة، حينها قررت الذهاب إلى تركيا، لأني لم أجد في البلد حضناً لي، فقد كنت المواطنة الخائنة التي خانت وطنها بعدما جردوني من حقوقي المدنية، وتم منعي من السفر واستخراج جواز سفر، وحجز أموالي بحجة الإرهاب، بالإضافة إلى خسارتي لعملي بعد الاعتقال.

سافرت إلى تركيا بعد رحلة عذابٍ شاقّة استمرت ثلاثة أشهر برفقة أولادي، كنت أبيت في بيوتٍ لا أعرفها، وننام في الطرقات أثناء محاولاتنا للعبور إلى وطنٍ آمن. لكني وصلت هناك لأجد نفسي وقد انتقلت من معتقلٍ صغير لآخر أكبر، فقد نسي الناس الثورة والمعتقلين والمعتقلات، وغدا همهم الحياة وتأمين لقمة العيش الصعبة، والتأقلم مع مجتمع تسوده العنصرية، بالأخص مع وجود مؤيدين للنظام السوري في تركيا، ونظرة هؤلاء لنا بأننا شعب خرب بلاده وهاجر، وأننا شعب من دول العالم «الخامس» ولا نفقه شيئاً في العلم أو التقدم.

قررت الوقوف من جديد ومحاولة بناء عش لي ولأطفالي، وحاولت إيجاد عملٍ لي كعملي في سوريا، فتعلمت اللغة التركية، ووقفت إلى جانب أطفالي لاجتياز عائق اللغة في الدراسة، وحاولت إيجاد بيئة حاضنة للمعتقلين والمعتقلات، فبحثت عن المنظمات التي تسعى لأن يكون المعتقل في

الداخل والخارج قضيتها الشاغلة، فتكون لنا عوناً بعدما خسرنا العائلة والوطن وكل شيء. وللأسف كانت بعض الجمعيات تتاجر بأسمائنا وقصصنا، وتحولنا من قضية إلى سلعة، فيتاجرون ويكسبون من ورائنا «الدولارات»، لقاء توثيق أوضاعنا، أو من وراء القصص التي نسردها لهم يقيناً منا أنهم يهتمون لقضيتنا. وذلك إلا من رحم ربي، حيث كانت هناك فئة من بينهم تحاول مساعدتنا لننال حقوقنا ونقاضي المجرمين، ونحاسب كل من أشرف على تعذيبنا، وإطلاق سراح المعتقلين والمعتقلات رجالاً ونساءً وأطفالاً.

إلى الآن لم أتخلص من شعور الخوف ولا من قسوة الاعتقال، إلى الآن أخاف من الشرطة، إلى الآن أخاف من إبراز هويتي أو الاقتراب من حاجز تفتيش!

أريد لهذا الكابوس أن ينتهي، أريد الانتماء إلى من يشبهني، أريد الالتقاء بعائلتي والعيش بأمان دون خوف، أريد تربية أطفالي دون خوف من التفكير بأبسط الأمور الحياتية والمعيشية.

أريد لهم العودة إلى سوريا دون أسد، أريد لهم أن يشهدوا ولادة الثورة التي عشنا مخاضها.

يكفيني فخراً أنني كنت جزءاً من هذه الثورة وشاركت بألمها، وأتمنى أن أكون شاهدة على حريتها، وأكون حاضرة عند القصاص من كل ظالم ومحاسبتهم في المحاكم الدولية، أريد أن يحاكم كل من كان سبباً في قصف وتهجير وتشريد وتعذيب كل مواطن ومواطنة سورية، وحرمانه/ها من أي حق من حقوقه/ها ابتداء من طباخ الفرع إلى أعلى قيادة تشملهم.

إنني على يقين من تحقيق العدالة واقتراب موعد قطافنا لثمارها وسنعود ونبني سوريا ونرمم ماضيها ونكون يداً واحدة في بنائها.

تعيش سوريا ويسقط بشار الأسد الحرية للمعتقلين!